

عنوان التظاهرة :صوف الغرب الإسلامي في الدراسات الإستشراقية

ملتقى دولي من تنظيم جامعة الشهيد حممة لخضر-الوادي.

مداخلة بعنوان : إشكالية أصالة التصوف عند محي الدين ابن عربي عند أتين بلاثيوس

The problem of the genuiness of Sufism according to Ibn Arabi by Attu Palacios

من اعداد: الدكتورة نورة رجاتي

benchanora@gmail.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _قسنطينة _الجزائر .

من اعداد: الطالبة امزيان وسيلة

amzianewassila25@gmail.com

جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة -الجزائر-الجزائر .

يومي 01 و02-12-2021

ملخص المداخلة:

يعتبر التصوف الإسلامي من أهمّ المفاهيم الأكثر تعقيدا والتي تتصادم مع تأويلات متعددة وقراءات مختلفة، وهذا راجع أساسا للخصوصية التي تتميز بها هذه التجربة الروحية خاصة في الإسلام، وقد توجّه الكثير من المستشرقين إلى دراسة التجارب الصوفية الإسلامية وتحقيق وتحليل مؤلفات أقطاب التصوف الإسلامي، ومن بين هؤلاء المستشرقين ارتأينا توجيه البحث إلى الإسباني أسين بلاثيوس باعتباره كرسّ جزءا كبيرا من حياته العلمية للإهتمام بالتصوف الإسلامي وكبار شخصياته، وبعد بحث في مؤلفاته وتحقيقاته ومقالاته اخترنا توجيه الدراسة إلى آرائه في أصالة التصوف الإسلامي

من خلال نموذج الشيخ محي الدين ابن عربي .

الكلمات المفتاحية:

التصوف الإسلامي _ أسين بلاثيوس _ ابن عربي .

Islamic mysticism is one of the most complex concepts which collide with various interpretations and different readings, Refer mainly to the peculiarity that characterizes this spiritual experience, especially in Islam. Many orientalists turned to the study of Islamic mystical experiences Investigation and analysis of the writings of the poles of Islamic mysticism, Among these orientalists, we decided to direct the research to the Spaniard Asin Platius As he devoted a large part of his scientific life to interest in Islamic mysticism and its dignitaries, After researching his books, investigations and articles, we chose to direct the study to his views on the authenticity of Islamic mysticism Through the model of Sheikh Muhyiddin Ibn Arabi.

key words:

Islamic Mysticism - Asin Platius - Ibn Arabi.

المقدمة:

يُعتبر التصوف أحد أهم فروع التراث الإسلامي ، وتزخر المكتبة الإسلامية بآلاف المؤلفات المتخصصة في التصوف. وبغض النظر عن تباين المواقف والآراء اتجاهه إلا أنه يبقى يمثل أحد أجزاء الفكر الإسلامي التي لا يُستهان بها.

ومن المعلوم أنّ الاستشراق اهتم بمختلف فروع التراث الإسلامي، فكان التصوف واحدا منها ووجد إقبالا كبيرا من طرف المستشرقين، حتى أنّ منهم من تأثر بهذا الفكر الصوفي .

وقد اعتبر المستشرقون التصوف الإسلامي ظاهرة مثيرة للجدل فانكبوا على دراستها وأولوها عناية كبيرة في إطار مشروعهم المتكامل لتشريح المجتمعات الإسلامية وتحليل كلّ ما يتعلّق بها، ولم يقتنع أغلبيتهم بأصالة هذه التجربة الروحية، ورفضوا المرجعية الإسلامية فيها واتجهوا إلى البحث عن أصول غير إسلامية وعربية للتصوف الإسلامي، وأخذوا يتداولون الأفكار ذاتها بينهم ويعيدون صياغتها بأساليب مختلفة.

والمدرسة الإسبانية واحدة من المدارس الاستشراقية التي اهتمت بالتصوف الإسلامي خاصة مع الأخذ بعين الاعتبار أنّها أسست أغلب دراساتها على قاعدة إسبانيا المسلمة سابقا _الأندلس_، وقد شغلت قضية تأصيل التصوف الإسلامي ونشأته ومرجعياته الاستشراق الإسباني ممثلا في أسين بلاثيوس وهو أحد كبار المستشرقين الإسبان الذين توجهوا لدراسة التصوف الإسلامي ، فاهتمّ بالغزالي وابن مسرة والشيخ محي الدين بن عربي الذي كتب عنه الكثير من المقالات، وأنّهاها بمؤلف ربط فيه بين فكرة التأثير المسيحي في التصوف الإسلامي وبين المذهب الروحي للشيخ الأكبر.

الإشكالية:

من جملة ماسبق عرضه من أفكار تتضح أمامنا إشكالية هذا البحث وهي:

كيف فسّر المستشرق أسين بلاثيوس التصوف الإسلامي عموما؟

وكيف حللّ وقدم التجربة الروحية عند الشيخ محي الدين ابن عربي خصوصا؟

وماهو المنهج الذي اعتمده في دراسته للتجربة الروحية في الإسلام؟

الأهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

- الدراسات الاستشراقية من مجالات البحث التي تستحق الدراسة، نظرا للدور الفعال الذي تقوم به في تكوين نظرة عالمية حول الإسلام و مختلف فروع التراث الإسلامي.
- التوجّه بالبحث الإسلامي إلى التخصصية التقنية في دراسة التراث الاستشراقي، فهذا البحث سيهتم باستقراء الدراسات الاستشراقية في مجال التصوف الإسلامي.
- تفكيك مرتكزاتهم العلمية والمنهجية، وتبيان الأخطاء التي وقعوا فيها سهوا أو عمدا من أجل الوصول إلى النتيجة التي يدافعون عنها حول التصوف الإسلامي.

الدراسات السابقة:

لم يقع بين أيدينا في حدود بحثنا موضوع مماثل لهذه الإشكالية التي نعالجها فقد وقعنا على مقال واحد بعنوان: التصوف الفلسفي عند ابن عربي في دراسات المستشرقين لصاحبه: الجغيفي، مظهر عبد العلي حاسم، وقد نشر في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية في العدد الثاني سنة 2010م. ومقال آخر بعنوان: أعمدة التصوف الإسلامي في ميزان المستشرقين ابن عربي أنموذجا. لصاحبه: مشتاق بشير الغزالي. لكن كلا المقالين يختلف عن بحثنا لأنهما يعالجان القضية على العموم فكانت دراسته وصفية أكثر منها تحليلية.

لكن لم نجد بحثا أفرد لتحليل أفكار أسين بلاثيوس حول التصوف الإسلامي وابن عربي على الخصوص فكان أكثر تخصصية، و لا ننكر أننا وجدنا بعض الإشارات السريعة عنه التي لا تتجاوز بضع أسطر في دراسات مختلفة تتعلق بالتصوف الإسلامي.

منهج الدراسة:

المنهج الاستقرائي: نستخدمه في تتبع مؤلفات أسين بلاثيوس التي اهتم فيها بالتصوف الإسلامي.

المنهج التحليلي: نعتمده في تحليل أفكار المستشرق أسين بلاثيوس، وذلك لفهم موقف هذا الأخير من التصوف الإسلامي ومن شخصية الشيخ ابن عربي.

محاوور الدراسة:

1. ضبط المصطلحات.
2. اهتمام الفكر الاستشراقي بمحي الدين بن عربي.
3. التجربة الصوفية للشيخ ابن عربي في فكر أئين بلاثيوس.

العرض:

1. ضبط المصطلحات:

■ التصوف:

التصوف: لغة

لم يُجمع الباحثون على تعريف معين للفظلة التصوف، بل ذهبوا في ذلك إلى مذاهب عديدة:

- جاء في لسان العرب أنّ: " صوفة أبو حي من مضر، وهو العوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي يفيضون بهم، وصوفة حي من تميم وكانوا يجيزون الحاج في الجاهلية من منى فيكون أول من يدفع. يقال في الحج : أجزى صوفة، فإذا أجازت ، قيل : أجزى خندف. فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة وهي الإفاضة."¹
- وذهب القشيري إلى أنّ التصوف كالقلب، فأما من قال إنّه من الصوف، ولهذا يُقال : تصوف إذا لبس الصوف كما يُقال: تقمص إذا لبس القميص فذلك وجهه، ولكنّ القوم لم يختصوا بلبس الصوف."² إذ أنّ فئة من الصوفية ذهبوا إلى ضرورة تعذيب النفس الإنسانية ، ولبس الصوف هو نوع من هذا التعذيب.

¹ لسان العرب، ابن منظور، ج7، ص479. وقد ورد هذا الرأي أيضا في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، د.أ، ص18.

² الرسالة القشيرية، القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، د.أ، ص312.

● وقيل التصوف: مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم.¹ وذلك بعملهم واجتهادهم على تزكية النفس الإنسانية ورفعها إلى أعلى مراتب الأخلاق.

● فيما ذهب آخرون إلى أنّ التصوف يرجع إلى الصُّفَّة التي كانت في مسجد الرسول "صلى الله عليه وسلم" لأنّ أصحابها اتصفوا بكل الصفات التي يمكن أن تكون سببا لهذه النسبة كالصفاء الذي هو صفاء أسرارهم ونقاء آثارها، أو كأنهم في الصف الأول بين يدي الله بارتفاع همهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه.²

● ورأي آخر نسب التصوف إلى صوفانة وهي بقلة تنبت في الصحراء، حيث دفع التقشف بعض الصوفية إلى الزهد في الطعام والاعتصار على نبات الصحراء.³ وهذا الرأي مستبعد نوعا ما في أوساط الدارسين للتصوف الإسلامي.

اصطلاحا:

يكاد يتفق الباحثون في الدراسات الإسلامية أنّه ما من مفهوم إسلامية أشدّ تعقيدا وأكثر جدلا من مفهوم التصوف، فوقف الباحثون إزائه مواقف متضاربة كثيرا بين رافض له رفضا مطلقا وبين مقتنع بأنّه روح الحياة الروحية في الإسلام وجوهره وبين من اعتبره مجرد نظريات فلسفية لا تداعيات لها في الواقع، من هنا كانت تعاريف هذا المصطلح كثيرة ومتباعدة عن بعضها البعض، وبما أنّ حدود البحث لا تسمح بالتفصيل في هذا كثيرا اخترنا الإشارة إلى بعض هذه التعاريف على سبيل التمثيل لا الحصر:

● عرف ابن خلدون التصوف بقوله: "هو العكوف على العبادة والانقطاع لله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلو للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف"⁴.

● وذهب محي الدين ابن عربي إلى أنّ التصوف: "هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وهي الخلق الإلهية وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفاسفها"⁵

¹ التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلابادي أبو بكر محمد بن اسحاق، د.أ، ص22.

⁴ المصدر نفسه، ص22.

³ التصوف. الثورة الروحية في الإسلام، عفيفي أبو العلال، د.أ، ص29.

⁴ المقدمة، ابن خلدون، د.أ، ص517.

⁵ رسائل ابن عربي _اصطلاح الصوفية_، محي الدين بن عربي، د.أ، ص17.

● وعرفه ابن عجيبة فقال: "التصوف علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، أو غيبة الخلق في شهود الحق أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة"¹

■ أسين بلاثيوس: Miguel Asiny Palacios (1871م_1944م)

مستشرق إسباني، ولد في 5 جويلية 1871م بمدينة سرقسطة عاصمة مقاطعة أرغون، على نهر الأبرو شرقي مدريد التي فتحها المسلمون سنة 712م إلى أن استولى عليها ألفونسو المحارب سنة 1118م.

درس أسين في مدارس المدينة، والتحق بمدرسة الأسكولابايوس الثانوية وأتم هذه المرحلة في مدرسة اليسوعيين بنفس المدينة، عند حصوله على البكالوريا أكمل تعليمه الجامعي في تخصص الهندسة كما التحق بالمعهد الجمعي وهو معهد ديني لتخريج رجال الدين فتخرج منه قسيسا وبدأ عمله الكهنوتي في 29 سبتمبر 1895م في كنيسة سان كيتانو بسرقسطة².

عمل أسين في مشروع كبير لتحقيق المخطوطات العربية المتعلقة بإسبانيا الإسلامية مع المستشرق "خليليان ريبرا" كان عنوانه: المكتبة العربية الإسبانية والتي ظهرت في عشرة أجزاء بين عامي 1882م_1895م وقد ضمت هذه المكتبة مصادر في غاية الأهمية³.

ثم التحق بجامعة مدريد أين حصل على الدكتوراه سنة 1896م برسالة عن الغزالي ثم عدل رسالته سنة 1901م وأخرجها بعنوان: الغزالي، العقائد والأخلاق والزهد⁴.

كما شغل كرسي اللغة العربية بجامعة مدريد سنة 1903م وبدأت شهرته تتطور في الأوساط الاستشراقية الدولية فراح يكتب في المجلات الأوروبية الاستشراقية واشترك في المؤتمر الدولي للمستشرقين المنعقد في الجزائر عام 1905م، وفي مؤتمر المستشرقين المنعقد في كوبنهاجن عام 1908م، كما دعاه "ناو Nau" المشرف على مجموعة "كتب الآباء الشرقيين" إلى الاشتراك فيها، فأصدر "مجموعة الأقوال المنسوبة إلى السيد المسيح في كتب المؤلفين المسلمين"، كما قام بفهرسة المخطوطات العربية في دير Abadia الجبل المقدس في إشبيلية. واشتغل سنة 1912م عضوا في

¹ معراج التشوف إلى حقائق التصوف، أحمد بن عجيبة الحسني، د.أ، ص5.

² موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، د.أ، ص121.

³ المصدر نفسه، ص122.

⁴ المصدر نفسه، ص122.

الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية والسياسية أين كان خطابه الاستهلاكي بعنوان: ابن مسرة ومدرسته: أصول الفلسفة الإسبانية الإسلامية¹.

بعد هذا اهتم بلاثيوس بقضية التأثير والتأثير بين المسيحية والاسلام كما عُني بابن حزم القرطبي ومحي الدين بن عربي، فترجم كتاب الأخلاق، ودرس الفصل في الملل والأهواء والنحل وترجمته، كما ألف عن ابن عربي: علم النفس عند محي الدين بن عربي، نفسانية الوجد الصوفي عند صوفيين مسلمين كبيرين: الغزالي ومحي الدين بن عربي².

مؤلفاته:

- الكوميديا الإلهية.
- مفكر مسلم أندلسي يؤثر في القديس يوحنا الصليبي.
- نفسانية الاعتقاد بحسب الغزالي.
- نفسانية الوجد الصوفي عند صوفيين مسلمين كبيرين: الغزالي وابن عربي.
- تصوف الغزالي بالفرنسية.
- روحانية الغزالي.
- تأثيرات الإسلام³.
- مذهب ابن رشد ولاهوت توما الاكوييني.
- الآيات الإسلامية في الكوميديا الإلهية.
- الإسلام في ثوب نصراني.
- مقارنة بين ابن عباد الرندي ويوحنا الصليبي⁴.
- كما نشر مجموعة من المخطوطات وترجمها ومنها:
- كتاب تدبير المتوحد لابن ماجه.
- محاسن المجالس لابن العريف.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.

¹ المصدر نفسه، ص123.

² المصدر نفسه، ص124.

³ المصدر نفسه، ص125.

⁴ المستشرقون، نجيب العقيقي، ج1، ص595.

● رسالة القدس لابن عربي.

● المدخل إلى صناعة المنطق لابن طملوس¹

2. اهتمام الفكر الاستشراقي بمحي الدين بن عربي:

يلاحظ الباحث في الفكر الاستشراقي المهتم بالتصوف الإسلامي أنّ الشيخ الأكبر من أكثر الشخصيات الصوفية التي شغلت حيّزا كبيرا في الدراسات الاستشراقية، فيذكر أنّ بدايات اهتمام الغرب بفكر ابن عربي تعود إلى سنة 1845م حين نشر "جوستاف فلوجل"² كتاب اصطلاحات الصوفية لابن عربي³، كما نشر المستشرق "نيبرج"⁴ مجموعة من رسائل ابن عربي تحت عنوان: Kheinere Schriften des ibn arabi سنة 1919م⁵، كما اهتمّ المستشرق "تيتوس بوركهارت" بابن عربي فترجم جزءا من فصوص الحكم سنة 1955م تحت عنوان: Lasagesse des prophètes⁶، كما كتب المستشرق "هنوري كوربان" بحثا ومؤلفات عن ابن عربي أهمها: الخيال المبدع في تصوف ابن عربي بالفرنسية وتُرجم إلى الإنجليزية⁷، كما أولى المستشرق "نيكلسون"⁸ وهو من أهم من اعتنى بالتصوف الإسلامي اهتماما كبيرا لشخصية الشيخ

¹ المصدر نفسه، ص 596_597.

² جوستاف فلوجل (G. Flugel 1802م_1870م) : مستشرق ألماني درس اللغات الشرقية في ليبزيغ، وتلمذ على يد المستشرق الفرنسي دي ساسي لفترة من الزمن، وضع فهرس للمخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة معهد فيينا، نشر وترجم الكثير من المخطوطات العربية مثل: كتاب التعريفات للجرجاني، وكتاب كشف الظنون لحاجي خليفة. وقضى خمسا وعشرين سنة من حياته يجمع مخطوطات كتاب الفهرست لابن النديم من مكتبات فيينا وباريس و ليدن. (نجيب العقيقي، المستشرقون، ط3، دار المعارف، مصر، 1964م، ج1، ص701_702).

³ طالب جاسم حسن العنزي _ سلمى حسين علون، وحدة الوجود عند محي الدين بن عربي من منظور استشراقي، مجلة مركز دراسات الكوفة، 2017م، العدد 27، ص212.

⁴ نيبرج: Nyberg.H.S (1889م_1974م): مستشرق سويدي عُيّن أستاذا للغة العربية بجامعة أوبسالة التي تخرج منها، ثمّ أستاذا للغات السامية وعضوا في العديد من الجامعات العلمية، من أثاره: نشر كتاب الشجر لابن خالويه، وأدب البهلوي، ومن مؤلفاته: فلسفة الإسلام ، نطق العربية بمصر. (نجيب العقيقي، المصدر نفسه، ج1، ص899).

⁵ طالب جاسم حسن العنزي _ سلمى حسين علون، المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

⁶ أنا ماري شيميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ألمانيا، 2006م، ص299.

⁷ طالب جاسم حسن العنزي _ سلمى حسين علون، المرجع نفسه، ص210.

⁸ رينولد نيكلسون: Rynold Alleyne Nicholson (1868م_1945م): مستشرق إنجليزي يعدّ بعد ماسنيون أكبر

أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي، كما درس اللغة الفارسية والعربية، وله مقالات عديدة نشرها في دائرة معارف الدين

الأكبر فكتب مقالا بعنوان: سيرة عمر بن الفارض وابن عربي، وقام بتحقيق كتاب ترجمان الأشواق لابن عربي وترجمته للإنجليزية¹. وفي سنة 1977م تأسست جمعية ثقافية دولية تحت مسمى "جمعية محي الدين بن عربي The Muhyidin Ibn Arabi Society مقرها الرئيسي في أكسفورد ولها فرع في الولايات المتحدة الأمريكية، ويجتمع فيها ثلة من المستشرقين منهم: ستيفان، هيرتنشايين، جيمس موريس، كلود أداس، دوني غريل... وهدفها التعريف بفكر ابن عربي ونشره وتعمد بانتظام ملتقيات سنوية بالولايات المتحدة وبريطانيا، كما تنشر كتبه مترجمة وتنشر دراسات عنه في مجلتها الخاصة².

● اهتمام أسين بلاثيوس بمحي الدين ابن عربي:

امتدت دراساته عن ابن عربي ما بين 1925م_1928م، فنشر أربع دراسات كبيرة في مكتبة "الأكاديمية الملكية للتاريخ" كلها تتعلق بالشيخ الأكبر عنوانها: الصوفي المرسي ابن عربي، مقسمة إلى فروع:

فرع1: ترجمة ذاتية تسلسل تاريخي.

فرع2: معلومات عن حياة مستمدة من رسالة القدس.

فرع3: الخصائص العامة لمذهبه.

فرع4: مذهبه في التوحيد وفي الكون³.

ثمّ توج هذه الدراسات بكتاب تحت عنوان: ابن عربي حياته ومذهبه، وقد ترجمه عبد الرحمن بدوي سنة 1965م⁴.

كما كتب رسالة عن الناحية المظلمة من تصوف ابن عربي⁵.

3. التجربة الصوفية للشيخ ابن عربي في فكر أثين بلاثيوس

● حياة ابن عربي:

والأخلاق ودائرة المعارف الإسلامية تتعلق بالتصوف الإسلامي، كما اهتم بالأدب العربي فألف تاريخ العرب الأدبي وترجم الكثير من الأعمال العربية إلى الإنجليزية. (موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، د.أ، ص 593_594).

¹ طالب جاسم حسن العنزي _ سلمى حسين علون، المرجع نفسه، ص 212.

² [http:// www. Ibnaarabisociety.org](http://www.Ibnaarabisociety.org)

³ موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص124.

⁴ المصدر نفسه، ص125.

⁵ المستشرقون، نجيب العقيقي، ج1، ص595.

صَرَّحَ أثين بلاثيوس في بداية دراسته لحياة ابن عربي أنَّه استخلصها من مؤلفات ابن عربي نفسه حول حياته مثل: الفتوحات المكية على اعتبار أنها الأهم والأصح¹.

هو أبو بكر محمد بن علي من قبيلة حاتم الطائي، عُرف باسم ابن عربي، وبلقب محي الدين، والشيخ الأكبر، وابن أفلاطون. ولد في مدينة مرسية في 17 رمضان سنة 560هـ².

وكان ابن أسرة مرموقة شديدة التقوى كما روى هو عن نفسه، وكان له خالان صوفيان هما: "يحيى بن يغان _ وأبو مسلم الخولاني"، وشقيق لوالده من أهل الطريق أيضا هو: "عبد الله بن محمد بن عربي" ذكر أنه كان له مقام شم الأنفاس الرحمانية³.

وقد انتقل إلى إشبيلية في الثامنة من عمره بعد أن خضعت مرسية لحكم الموحدين، ويشير بلاثيوس إلى أنَّ ابن عربي كان يذكر العديد من شيوخه في مختلف العلوم الذين تتلمذ عندهم في إشبيلية، كما أكد أنَّ الشيخ الأكبر في بداياته لم يكن يميل إلى التصوف والحياة الروحية، ويقوي رأيه هذا بما رواه ابن عربي عن نفسه عن سنوات شبابه التي أضعها في رحلات الصيد، وعن وظيفته ككاتب في حكومة إشبيلية⁴.

كما عرَّج إلى زواجه من مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي، وأكد على صلاحها ودورها في تأسيس الحياة الروحية للشيخ الأكبر، وأورد في ذلك عدة نصوص من الفتوحات المكية⁵.

• المذهب الروحي لابن عربي:

يؤكد أسين بلاثيوس في مستهل بحثه هذا أنَّه لم يعتمد كثيرا على الفتوحات المكية للشيخ الأكبر إلاَّ في بعض المواضع، لأنَّه يعتبر " أنَّ ما يتضمنه من وثائق غزيرة ولكنَّها مختلطة غير متماسكة يجعل من العسير الاستفادة منها"⁶، ويصرِّح أنَّه اعتمد على مصادر أخرى لابن عربي وهي: " التحفة، الأمر، التدبيرات، الكنه، المواقع، الأنوار"⁷ وقام بشرح هذه المصادر وما فيها من مواضيع.

¹ ابن عربي: حياته ومذهبه، أثين بلاثيوس، د.أ، ص4.

² المصدر نفسه، ص5.

³ المصدر نفسه، ص6_7.

⁴ المصدر نفسه، ص8_9.

⁵ المصدر نفسه، ص9. والنصوص في الفتوحات المكية: ج3، ص311/ ج1، ص323.

⁶ المصدر نفسه، ص104.

⁷ للتفصيل يُنظر: المصدر نفسه، ص104_107.

كما أنّه يؤكّد قبل بداية تحليله للمذهب الروحي للشيخ الأكبر أنّه سيقوم بمقارنة بين الأساليب الروحانية الشائعة في الرهبانية المسيحية وبين نظيرتها الإسلامية بهدف "حل المشكلة التاريخية المعقدة، مشكلة أصول الروحانية الإسلامية"¹ والتي نحسب أنّها الغرض الأساسي من اهتمامه بالتصوف الإسلامي وكبار أقطابه وابن عربي واحد من أهمهم. إذ أننا نلاحظ عليه تقديمه لفكرة نشأة الروحانيات الإسلامية _والتي يقصد بها التصوف الإسلامي_ بين عوامل روحية كثيرة وهي:

الأفلاطونية المحدثة، الغنوصية، الزهد المسيحي، البوذية الهندية² قبل البدء في تحليل التجربة الصوفية لابن عربي. أي أنّه قرّر يقينا أنّ جملة هذه العوامل هي التي شكلت التصوف الإسلامي لكن كيف يطلق عليه وصف إسلامي وهو لا يضمن بين عوامل تكوينه ولو عاملا إسلاميا واحدا؟

وهو أسلوب فئة عظيمة من المستشرقين إذ يقدّمون مسلماتهم في بدايات بحوثهم عن الشرق المسلم ثمّ يبحثون لها عن أدلة وبراهين وهذا بعيد كل البعد عن قواعد البحث العلمي الذي يتحرى الحقيقة العلمية.

وقد صرّح أسين بلاثيوس بمنهجه في هذه الدراسة عن ابن عربي من البداية قائلا: "سأتعرض على هامش كل مسألة في التصوف والزهد أثارها ابن عربي لنظائرها المتقدمة عليها في كتب الرهبانية المسيحية قبل الإسلام"³ ونستغرب منه هذا المنهج إذا كان حقيقة يبحث عن جوهر التصوف الإسلامي وأصوله فكيف به يعقد مقارنة بين تجربتين روحانيتين من بيئتين مختلفتين تماما وديانتين مختلفتين ليقرّر في النهاية امتداد إحدى التجربتين إلى الأخرى.

يشعر أسين بلاثيوس في تحليل تجربة ابن عربي ويؤكد أنّ الزهد والتصوف في مذهب الشيخ الأكبر يشتركان في المضمون المذهبي مع الروحانيات المسيحية منذ القرن السادس عشر ميلادي حتّى وإن اختلفت الأسماء، وسار بعيدا في هذه الفكرة إلى أن قرّر أنّ مذهب ابن عربي والروحانيات المسيحية "كانا بمثابة فرعين منتزعين من جذع اللاهوت"⁴، كما يشير إلى أنّ ابن عربي وجد علم الزهد والتصوف علما قائما بذاته انتظم قبله في القرن الثاني إلى الرابع هجري أي في القرن الثامن إلى

¹ المصدر نفسه، ص108.

² المصدر نفسه، ص108.

³ المصدر نفسه، ص109.

⁴ المصدر نفسه، ص110.

الحادي عشر هجري، لكنّ ابن عربي فرّق بين الزهد والتصوف فرأى أنّ الحياة الروحية تتضمّن علمين:

1) العلم الرسمي : ويتألف من الحقائق العقائدية وقواعد الأخلاق الدينية.

2) العلم الذوقي: ويتألف من مجموع التجارب التي تصل إليها النفس بنور الإيمان¹.

وتفريقه بين الزهد والتصوف هو أنّه يرى في الزهد علما عمليا يؤهل للتصوف، أمّا التصوف فهو معرفة تجريبية².

ويقرّر أسين بلاثيوس أنّ الزهد كما يتصوره ابن عربي يبقى بحاجة إلى "إكماله ببعض المبادئ المنتزعة من اللاهوت الدوجماتيكي _علم الكلام_ والأخلاق الدينية وعلم النفس"³، ويلاحظ بلاثيوس على ابن عربي أنه لا يفصّل في هذه المبادئ في مؤلفاته على اعتبار أنّ الاهتمام البالغ بالمعرفة النظرية له تداعياته السلبية على الحياة الروحية، لكن يعود ليؤكد أنّ هذه الملاحظة لا تعني أنّ "كتب ابن عربي ينقصها البحث في مذهب الصوفية... لكنّه بخلاف الغزالي يكتب خصوصا للمؤمنين الورعين لا لجمهور المؤمنين العاديين"⁴.

ينتقل أسين بلاثيوس بعد هذا إلى الأساس النفساني للمذهب الصوفي لابن عربي ولا يتغلغل فيه بحكم أنّه خصص له بحثا بعنوان: علم النفس عند محي الدين ابن عربي"، فيخرج منه سريعا بنتيجة مفادها أنّ مذهب الشيخ الأكبر في الروح ميتافيزيقي وأنّ ابن عربي متأثر إلى حد بعيد بأفلوطين و أرسطو، وأنّه يحاول تكييف النزعة النفسانية الشاملة عند أفلوطين مع العقيدة الإسلامية⁵.

كما يذكر أنّ الزهد لا يهم ابن عربي من حيث ما يحوي من أمور مشتركة بين المؤمنين العاديين، ولكن ما يهمه في الزهد هو المبادئ الخاصة التي يتجه إليها المتطلعون إلى الكمال الصوفي مثل: العزلة، ويؤكد أنّ الزهد الذي يتطلع إليه ابن عربي هو زهد الخلوة وأنّ الظاهرة الصوفية عنده تقوم أساسا بين ظاهرتين زهديتين⁶.

¹ للتفصيل يُنظر: المصدر نفسه، ص110_111.

² المصدر نفسه، ص112.

³ المصدر نفسه، ص112.

⁴ المصدر نفسه، ص112.

⁵ المصدر نفسه، ص113_114.

⁶ المصدر نفسه، ص114.

وفي إشارة أخرى إلى التوافق بين تصوف ابن عربي واللاهوت المسيحي يتطرق أسين بلاثيوس إلى مفهوم التوفيق الذي يرى فيه ابن عربي البذرة الأولى لكل ظاهرة زهدية صوفية¹، ويشرح التوفيق أو الموافقة على أنها عون من الله تعالى لموافقة أفعال العبد لما تقتضيه الشريعة الإلهية، وأنّ به تُنال المقامات الصوفية، ويؤكد أنّ "ابن عربي يصرّح بأنّ التوفيق ضروري حتّى لطلب التوفيق والتماسه من الله وهو في هذا يتفق مع القديس أوغسطين"²

يقرّر أيضا أسين بلاثيوس أنّ المذهب الروحي لابن عربي يتفق مع الرهبانية المسيحية فيما يتعلّق بأنماط الحياة الدينية للعباد، فيؤكد أنّ ابن عربي يوصي المؤمنين بالعيش إمّا معتزلين للدنيا أو في الدنيا ولكن عيشة الزاهدين قدر المستطاع³، ويبدأ بالتمثيل لهذه الفكرة فيرى أنّ فكرة حياة الخلوة التي يتوجب فيها على العابد أن يوفق بين المشاغل الدنيوية ومقتضيات الكمال الروحي ويشبّه هذا بما يقوم به أتباع الطريقة الثالثة للحياة الدينية في أوروبا خلال القرن الثالث عشر ميلادي⁴.

وفي مثال آخر يرى أسين بلاثيوس أنّ الخلوة نوعان تماما كما في المسيحية : الخلوّيون، المرابطون، كما يرى أنّ طريقة الأخوات الأغافيات أي الراهبات اللواتي يعشن في صحبة رهبان واللواتي عُرفن في المسيحية حتّى القرن الخامس ميلادي، وُجدت أحيانا في الإسلام، ويؤكد أنّ الشيخ الأكبر رغم تحريمه لها إلاّ أنّه هو نفسه "كان يعيش مع إحدى هؤلاء العابدات في إشبيلية وهي نونة Nuna فاطمة"⁵ فاطمة⁵ لكنّه لا يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة. ويتحدث عن الزهداء المسيحيين فيذكر أنّهم كانوا يختارون بين الخلوة وحياة الدير، ويؤكد أنّ أغلب رجال الدين المسيحيين يفضلون حياة الأديرة لما فيها من نفع في التكوين الروحي مثل القديس نيلو Nilo، ويقابل هذه الفوائد الروحية بنظيرتها في الإسلام الروحي _التصوف_ فيجد أنّ الخلوة عند الصوفيين المسلمين أنّهم لهم في الجانب الروحي، ويشير إلى أنّ الخلوة كانت موجودة في الرهبنة المسيحية لكن زالت منذ القرن السابع ميلادي وتغلّبت عليها الأديرة، ويرى أنّ أقطاب التصوف الإسلام لجأوا إلى هذه الموازنة ذاتها

¹ المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

² المصدر نفسه، ص115.

³ المصدر نفسه، ص117.

⁴ المصدر نفسه، ص117_118.

⁵ المصدر نفسه، ص118.

التي قام بها هو ويضرب هنا مثالا بما قام به الغزالي في الإحياء¹، حتى خُص إلى أن ما توصل إليه الغزالي يتفق مع الصوفية المسيحية "حين يقرّرون أن الأفضل لمن لم يجمع شهواته أن يتخذ الحياة المشتركة لا حياة الخلوة"²، ويعتبر أن الشيخ الأكبر يسير على موقف الغزالي نفسه لكنه يتردد في التصريح به لأنه نشأ في إسبانيا المسلمة التي لم يكن فيها "نظام الرباطات و الخانقاهات التي فيها تجري الحياة المشتركة بين الأخوات وفقا لنظام شبيه بما في الأديرة"³ لكنّ نفوره منها بدأ يتلاشى عندما رحل إلى المشرق، وبدأ تأثره بما يظهر في كتاباته حين كتب رسالة "الأمر المحكم المربوط" فيعتبرها بلاثيوس تتضمن قواعد الحياة في الرباطات، والتي يوجد نظيرها في الرهبانية المسيحية منذ القرن الرابع ميلادي ويرى في هذا دليلا آخر على التأثير المسيحي في التصوف الإسلامي⁴.

كما يورد أسين بلاثيوس مجموعة من الرسائل الزهدية لابن عربي يرى في تسميتها تشابها كبيرا مع في التسميات المسيحية مثل: التدبيرات، الأمر...⁵. ويعتبر أن صوفية الأندلس لم يكن لهم طريقة موحدة مثل الشيوخ الخمسة والخمسين لابن عربي إذ كانت لهم منازع صوفية متعددة تتشابه أغلبها مع ما في الرهبنات المسيحية⁶.

ومن الطريقة ينتقل إلى فكرة الشيخ والمريد فيقرر أنّها مسيحية الأصل تأثر بها صوفية الإسلام، ويضرب أمثلة بالقدّيس يوحنا والقدّيس أنطون اللذان اعتادا على اصطحاب تلاميذ معهم لإرشادهم، ثمّ أخذ يجلّل واجبات هذا المريد إزاء شيخه في إطار مقارنة يعقدها بين المريد في الروحانيات المسيحية والتصوف الإسلامي، فيعتبر أنّ لفظة "الشيخ" هي ترجمة حرفية لكلمة Prech terus في الرهبانية المسيحية، وكان المريد يسمى خادما في التصوف الإسلامي من منطلق خدمته لشيخه في بعض الأمور، وهو ذاته ما يقوم به ال Oiconomos في الأديرة المسيحية الشرقية بحسب بلاثيوس⁷.

● نظام المريدين:

¹ المصدر نفسه، ص119.

² المصدر نفسه، ص 120.

³ المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

⁴ المصدر نفسه، ص121.

⁵ للتفصيل يُنظر: المصدر نفسه، ص122_123.

⁶ للتفصيل يُنظر: المصدر نفسه، ص124_125.

⁷ للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص126_128.

يتطرق أسين بلاثيوس إلى نظام المريدين في التصوف الإسلامي، فيبدأ بالإرادة ويتحدث عنها مقارنا مفهومها في التصوف الإسلامي بنظيره في الرهبة المسيحية، فيرى أنّ الإرادة تسبق سلوك الطريق في المسيحية بينما على العكس من ذلك: سلوك الطريق والعهد وتلقي الخزقة كلها سابقة للإرادة بحسب ابن عربي، كما يتحدث عن العهد الذي يطلبه الشيخ من المريد فيذكر أنواع العهود ويقرّر أنّها كانت موجودة في الرهبة المسيحية قبل التصوف الإسلامي¹.

ثمّ ينتقل إلى الخزقة بوصفها رمزا للإرادة فيعتبرها هي الأخرى كانت موجودة في الرهبات المسيحية فقد كان بحسبه الرهبان ينظرون إلى ثوب الراهب الصالح على أنّه بركة " ولهذا كان يعطيه لأحد مريديه المفضلين تماما كما سيحدث في الإسلام بعد ذلك ببضعة قرون"²، ويذكر أنّ ابن عربي أيضا تلقى الخزقة لأول مرة في إشبيلية من أبي القاسم عبد الرحمن³.

وفي السياق ذاته يتحدث عن لباس المريدين وأنّ ابن عربي يترك لهم حرية اختيار لباسهم وفقا لعاداتهم المختلفة مع توصيتهم بأن يكون لباسا متواضعا ليس ثمينا، وأن لا يُغسل أبدا ويعتبر أسين بلاثيوس أنّ مثل هذه الوصايا نظيراتها في الرهبة المسيحية⁴.

ويتطرق أسين بلاثيوس أيضا إلى مبادئ تنظيم الخلوة عند ابن عربي، أين يتحدث عن نصح الشيخ الأكبر بالطعام في الخلوة للشيخ تجنبا لألفة المريدين، وعن آداب الطعام عند ابن عربي، كما يشير لآراء ابن عربي فيما يخص النظافة الشخصية للصوفية أين كان يأمرهم بعدم المبالغة فيها ومراعاة حدود الشعائر الدينية فيها لا أكثر قصد القضاء على الغرور والأهواء، ويرى أنّ "في هذا سمة واضحة من سمات محاكاة الرهبانية المسيحية كما في ملامح أخرى من تنظيم الخلوة"⁵.

وينتقل إلى التأكيد على أنّ الدروس الصوفية في الأصل مسيحية ويضرب مثلا بالدروس التي كان يقدمها القديس باخوم مرتين في الأسبوع ويحضرها جميع الرهبان إلزاما، ويرى أنّ الشيخ ابن عربي تأثر بالقديس يحيى الذهبي الفم وظهر تأثيره هذا في كتابه: الأمر المحكم المربوط⁶.

¹ المصدر نفسه، ص 129_130.

² المصدر نفسه، ص 131.

³ المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

⁴ للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص 132_133.

⁵ المصدر نفسه، ص 138.

⁶ المصدر نفسه، ص 139_140.

وعن طاعة المرید لشیخه والتي هي من الشروط الأساسية لدخول الحياة الصوفية عند ابن عربي بحسب أسین بلاثيوس، يرى أنّ آراء الشيخ الأكبر فيها مقتبسة من آراء القديس أغناطيوس مؤسس الطريقة اليسوعية¹. وحتى الشيخ لا بدّ أن يعرف مریده حق المعرفة ويشير بلاثيوس هنا إلى كرامة ابن عربي في الاتصال التلقائي بين النفوس خصوصاً بين الشيخ ومریده، وإظهار الاحترام الفائق من المرید لشيخه وكل هذه الأمور التي تنظم علاقة الشيخ بالمرید يذكر بلاثيوس أنّ "معظم إن لم يكن كل هذه القسامات يمكن أن تعثر عليها دون كبير عناء في كتب الرهبان والحياة الرهبانية في الشرق المسيحي"².

• المنهج الصوفي:

يرى أسین بلاثيوس أنّ ابن عربي متأثر فيه بالقديس أوغسطين أين يوجب على المرید الإمام بالتعليم الديني والأخلاقي، كما يوجب عليه معرفة ضرورة اللطف الإلهي الذي هو هبة من الله تعالى يهبه لمن يشاء، ويقرّر بلاثيوس أنّ وسيلة النجاح في هذا الطريق هو الطاعة الكاملة للشيخ ويعتبر أنّ كل هذه القواعد أصلها مسيحي³، ويعتبر أنّ "منهج التصوف في الإسلام يقوم على النظرية الأفلاطونية المحدثة والمسيحية في التطهير"⁴ فمثلاً: التطهير عند ابن عربي يكون على ثلاث مراتب:

(1) تزكية النفس.

(2) تصفية القلب.

(3) تجلية الروح.

ويشترط ابن عربي في تزكية النفس التوبة أين يقرّر بلاثيوس أنّ ابن عربي يفهم التوبة كما يفهمها المسيحيون على أنّها اقتراب من الله تعالى وابتعاد عن المخلوقات⁵.

كذلك يشترط ابن عربي في الخلوة تحريم دخول النساء والصبيان على المریدين وهو ما يؤكد أسین بلاثيوس أنّه كان متبعاً في الرهبانية المسيحية. أمّا عن الزهد الذي هو أعلى درجات التصوف بعد التوبة فيتبعه التجريد الذي يعني قطع العلائق الدنيوية وتخليّة القلب من طلب الدنيا فيعتبر بلاثيوس

¹ المصدر نفسه، ص 140_141.

² المصدر نفسه، ص 143.

³ المصدر نفسه، ص 145.

⁴ المصدر نفسه، ص 147.

⁵ المصدر نفسه، ص 148_149.

أنّه مرادف لمصطلح desnudez de Espirito الذي يعني تجريد الروح وهو مصطلح أطلقه القديس يوحنا الصليبي¹.

ينتقل بعد هذا إلى مفهوم المحبة عند الشيخ ابن عربي ويبرز مختلف جوانبه الحمودة والتي تؤثر إيجاباً على الحياة الاجتماعية، ويشرح أسين بلاثيوس أعمال الرحمة الجسمانية كإمالة الأذى من الطريق وخدمة الفقير والمريض وأعمال الرحمة البدنية والتي يدخل فيها حتى الرفق بالحيوان ليقرّر في النهاية أنّه لا حاجة له "إلى بيان ما في مذهب المحبة هذا من اتفاق مع المسيحية"²، فيعتبر مثلاً أنّ أعمال الرحمة الجسمانية والبدنية كان يقوم بها الرهبان المسيحيون قبل الإسلام³.

وفي إشارة إلى وسائل بلوغ الكمال يرى أسين بلاثيوس أنّ ابن عربي يتفق مع الرهبان النصارى في غالبية هذه الوسائل وهي: تنظيم الحياة _ محاسبة النفس _ استشعار الحضور الإلهي _ الدعاء في مختلف أشكاله _ اختيار مرشد روحي وقمع الجسم⁴.

أمّا عن تنظيم الحياة فقد سبق شرحها في حياة الجماعة أو الخلوة، وأمّا عن محاسبة النفس فيؤكد

بلاثيوس أنّ المسيحية لها الفضل في إرساء قواعدها وأنّ كتابات الرهبان المسيحيين تحفل بها، أمّا في

الإسلام فقد ظهرت لاحقاً عند الحسن البصري و الحارث المحاسبي والغزالي الذي فصّل في المحاسبة

كثيراً في إحياء علوم الدين وكان مذهبه فيها شبيهاً بما في الرهينة المسيحية إلى حدّ بعيد، ثمّ انتقلت

¹ المصدر نفسه، ص150_151.

² المصدر نفسه، ص154.

³ المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

⁴ المصدر نفسه، ص155_156.

إلى الأندلس فتطرق إليها ابن مسرة القرطبي وابن عربي ولم يضيفوا لها أكثر مما وجد عند الرهبان المسيحيين¹.

أما عن فكرة استشعار الحضور الإلهي فيرى أسين بلاثيوس أنّها مماثلة تماما لفكرة القديسة تريزا الآبلية، ويرى أنّ ابن عربي في تطرقه لهذه المسألة كان مشيرا لها فقط إشارات سريعة في رسائله². وعن الدعاء يقرر أسين بلاثيوس أنّ ابن عربي أشار إلى خمسة أنواع فيه: الصلاة _ تلاوة القرآن _ التفكير _ السماع _ التأمل الناشئ عن الخلوة ويتكون من تلاوة أدعية وهي الذكر _ ويذكر بلاثيوس أنّ الذين أرخوا للحياة الروحية في المسيحية تطرقوا إلى هذه الأفكار النفسية ذاتها، ورياضة الذكر هي ذاتها التي كان يمارسها الرهبان المسيحيون في الشرق المسيحي بالشكل ذاته الذي هو عبارة عن نصوص موجزة يتم حفظها وتكرارها³.

كما يؤكد وجود تشابه في الصلاة بين المسيحيين والمسلمين، فالصلاة في المسيحية يمارسها المتعبدون حتى خارج الأديرة إذ تحولت إلى فريضة وواجب لكن سرعان ما اقتصر هذا الفرض على رجال الدين والرهبان ابتداء من القرن الخامس ميلادي وفي هذا الوقت جاء الإسلام وجعلها فريضة أيضا وهذه الأمور لم يفصل فيها ابن عربي بحسبه⁴، فهو يقيم تشابها فقط على أساس أنّ الصلاة فرض ولا يفصل في كيفية الصلاة ليصل إلى الفرق بينهما.

• السماع:

يرى أسين بلاثيوس أنّ السماع عند الصوفية المسلمين مقتبس بأكمله من الرهبة المسيحية فيذكر أنّ الأديرة في الشرق المسيحي مثل فلسطين وسوريا كان يجتمع فيها الرهبان للقيام بالإنشاد وأطنب بلاثيوس في وصف كيفية هذا الإنشاد ويشير إلى أنّ هذه الأغاني ألفها رجال الدين ولم يأخذوها من الكتاب المقدس، ويخلص إلى أنّه ليس من السهل أن يحدّد متى دخل السماع إلى التصوف الإسلامي، لكنه يؤكد أنّ ذا النون المصري هو من أدخل السماع في القرن الثالث هجري، ومن خلال كونه ليس

¹ للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص 157_160.

² للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص 161_163.

³ المصدر نفسه، 164.

⁴ المصدر نفسه، ص 164_165.

عربيا يعطي لنفسه الحق أكثر في التأكيد على أنّ السماع دخيل على التصوف الإسلامي، ويذكر أن السماع كان غربيا حتى على ابن عربي إذ لاحظ أنه لم يتطرق إليه كثيرا في مؤلفاته وأظهر في هذه المواضع القليلة رفضه للسماع، وأخيرا يرى بلاثيوس أنّ الصوفية المسلمين اقتبسوا السماع من المسيحية لكن أضافوا عليه أمورا شوهت الصورة المسيحية الجميلة¹.

• الخلوة:

ويبدأ معها من مصدرها المسيحي الأصلي بحسبه، فيذكر أنّ الرهبان في المشرق كانوا يمارسونها ويطلقون على أنفسهم اسم "المنقطعين" ويسبق هذه الخلوة تدريب في الدير وبإذن من رئيس الدير، ويسترسل بلاثيوس في وصف كيفية الخلوة ليقرر في النهاية أنّ الإسلام عرف نوعا من التعبد يشبه هذه الخلوة الديرانية يسمى "الاعتكاف" لكنه يؤكد على عدم وجود نص صريح في القرآن يحث على هذا الاعتكاف، ويرى أنّ لا يعثر إلا بصعوبة على فروق جوهرية بين مذهب ابن عربي في الخلوة ومذهب الرهبان المسيحيين في المشرق².

• الأحوال والمقامات والكرامات:

يفصّل أسين بلاثيوس في هذا المبحث مفاهيم الأحوال والمقامات خاصة عند ابن عربي والتي تمثل عنده في مجموعها الحياة الروحية في الإسلام، ويعتبر بلاثيوس أنّ التصوف الإسلامي عانى طويلا حتى وصل إلى تنظيم الأحوال والمقامات³، وقد كانت بحسبه في بدايتها بسيطة ورغم ذلك " لا نعتقد أنّ هذه النظرية كانت من أصل إسلامي"⁴، ويقرّر قبل الشروع في دراسة التقعيد الإسلامي للأحوال والمقامات أنّها مثل المباحث التي سبق وأن درسها ذات أصول مسيحية، ويضرب مثلا بالدرجات السبع التي ذكرها أوغسطين والتي يجب على النفس أن تمر بها لتصل إلى التأمل الصوفي والسابعة منها هي "المقام"، ويعتبر أيضا أنّ كلمة "كرامة" العربية لها ذات الدلالة اللغوية للكلمة اليونانية اللاتينية charisma التي جاء بها القديس بولس ليستدل بها على المواهب غير المعتادة التي يهبها للنفوس

¹ للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص 172_180.

² للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص 182_188.

³ للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص 189_191.

⁴ المصدر نفسه، ص 192.

المختارة، ويشير أيضا إلى أنّ ابن عربي فرّق بين نوعين من الكرامات ثانيها: روحية الطابع، والتي يسميها الاهوتيون النصارى باسم "صانعات اللطف: ¹Facientes gration.

● المعرفة:

يتطرق أسين بلاثيوس إلى المعرفة الصوفية على اعتبار اقتران الكرامات والمقامات بها، ويعتبر أنّ اطلاق اسم معرفة كان محاكاة للكلمتين اليونانيتين Gnosis.Theoria التي أطلقها الأفلاطونيون المحدثون، ويشير إلى أنّ ابن عربي سار على نهج من سبقه من الصوفية المسلمين عندما قسّم المعرفة الصوفية إلى: المكاشفة، التجلي، المشاهدة.²

أمّا المكاشفة عند ابن عربي فيؤكّد بلاثيوس أنّها تحمل المعنى ذاته لمصطلح apokalupsis: الرؤيا، الذي استخدمه الأفلاطونيون المحدثون، ويتفق ابن عربي معهم في مفهومها الذي يدور حول الجلال الإلهي الذي لا تدركه المخلوقات بسبب الحواجب التي بينها وبين الحقائق الإلهية ولا يُنال إلاّ بالمجاهدات.³

وأما التجلي فيقرّر بلاثيوس أنّه "ترجمة أمينة للكلمة اليونانية Photismos لدى الفلاسفة الاسكندرانيين"، ويرى أنّ ابن عربي في مفهومه للتجلي أخذ بـميتافيزيقا أفلوطين الاشراقية والتي ترى أنّ الله بؤرة نور تجليتها هي المخلوقات.⁴

وعن المشاهدة: يرى أسين بلاثيوس أنّ مفهومها ليس مقتبسا فقط من الأفلاطونية المحدثّة بل تعدى ذلك إلى إرجاعها إلى العبرية ويتمحور مفهومها حول: الإدراك المباشر الحاصل عن الشهود العيني الحضورى.⁵

¹ المصدر نفسه، ص193_194.

² المصدر نفسه، ص211.

³ المصدر نفسه، ص212_213.

⁴ للتفصيل ينظر: المصدر نفسه، ص215_217.

⁵ المصدر نفسه، ص218.

الخاتمة:

نصل في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج نلخصها في النقاط الآتية:

- التصوف الإسلامي هو أحد أهم القضايا التي شغلت الفكر الاستشراقي على اختلاف مدارسه وتشعب مذاهب رواده، والمدرسة الاستشراقية الإسبانية هي واحدة من هذه المدارس ممثلة في أسين بلاثيوس الذي يعتبر أهم إسباني اشتغل على حقل التصوف الإسلامي.
- لم يجد أسين بلاثيوس عن منهج من سبقه من المستشرقين فاستهلّ بحثه عن ابن عربي بمسلمات واضحة قرّر فيها عدم أصالة التصوف الإسلامي من خلال تأثر ابن عربي بالرهينة المسيحية بحسبه، ثمّ شرع يبحث عن براهين لمسلماته ولم يكن يهّمه إن كانت براهين قوية أم مجرد آراء ضعيفة.

- حتّى وإن اتفقنا فرضاً مع أسين بلاثيوس فيما قدّمه من أفكار حول الشيخ ابن عربي، فلن نتفق معه في تعميمه لهذه الأفكار على التصوف الإسلامي إذ لا يمكنه بأي شكل من الأشكال اختزال المنظومة الصوفية الإسلامية بأكملها في آراء لصوفي مسلم واحد مهما كانت مكانة الشيخ ابن عربي ضمن هذه المنظومة الروحية، ضف إلى ذلك لا يحقّ له أن يعمّم ما شاهده في الحياة الروحية الأندلسية على كامل التصوف الإسلامي.

● في كثير من الأحيان نجد أسين بلاثيوس يجيد عن السياق، فدراسته التي أعلنها في البداية أنها تخص الشيخ ابن عربي كثيرا ما وجدناه نسي الشيخ واتجه إلى محاولة إثبات التأثير المسيحي في التصوف الإسلامي.

● يلاحظ الباحث في دراسة أسين بلاثيوس للشيخ محي الدين ابن عربي والتي يجعلها نموذجا يعمم نتائجه ويطلق من خلاله أحكاما على كامل التصوف الإسلامي أنه يسترسل في الحديث عن فكرة معينة مثلا عن الخلوة يطنب في تحليلها عند الشيخ الأكبر أو في الإسلام، ليصل في النهاية إلى التأكيد على أنها كانت موجودة في الرهبة المسيحية لكن دون تحليل وجهها المسيحي فيكتفي بالقول في غير موضع: "ومن المستحيل أن نسردها كلها من أجل المقارنة التامة لكن ليس من الحكمة أن نغفل التشابه في الخطوط العامة بين بعضها"¹، وهذا خطأ منهجي فادح فإن كان يعتمد منهج المقارنة بين الرهبة المسيحية والتصوف الإسلامي فليس بهذا الشكل تتم المقارنة إذ لا بد أن يعطي كل طرف حقه من الشرح والتحليل ومن ثم يصل إلى النتائج.

التوصيات:

- نوصي بإعادة قراءة التراث الأكبري قراءة متأنية متكاملة.
- كما نلفت الانتباه إلى ضرورة إعادة تحقيق تراثنا بعيدا عن القراءة الاستشرافية المتحيّزة.
- وضرورة اعتماد التراث الصوفي منطلقا لاستئناف بحوثنا وتطوير مناهجنا ورفض كل دعاوي القطيعة مع التراث.

الاقتراحات:

- ونقترح المواضيع التراثية في بحوث طلبة الليسانس والماستر والدكتوراه لبناء قاعدة معرفية تكون منطلقا لكل تجديد.
- ونقترح إسناد هذه المهمة لفرق ومخابر البحث العلمي.

¹ المصدر نفسه، ص138.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون، المقدمة، د.ط، دار الجيل، بيروت_لبنان، د.ت.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص479. وقد ورد هذا الرأي أيضا في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، د.أ، 1988م.
3. أحمد بن عجيبة الحسني، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، اعتنى به: محمد بن أحمد بن الهاشمي التلمساني، ط1، مطبعة الاعتدال، دمشق_سوريا، 1355هـ_1973م، د.أ.
4. أسين بلاثيوس، ابن عربي: حياته ومذهبه، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة_ مصر، 1965م، د.أ.
5. طالب جاسم حسن العنزي _ سلمى حسين علون، وحدة الوجود عند محي الدين بن عربي من منظور استشراقي، مجلة مركز دراسات الكوفة، 2017م، العدد 27.
6. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت_لبنان، 1993م، د.أ.
7. عفيفي أبو العلال، التصوف. الثورة الروحية في الإسلام، د.ط، دار المعارف، القاهرة_مصر، 1963م، د.أ.

8. القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، الرسالة القشيرية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، 1998م، د.أ.
9. الكلاباذي أبو بكر محمد بن اسحاق، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق: محمود أمين النواوي، د.ط، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة_مصر، 1992م، د.أ.
10. محي الدين بن عربي، رسائل ابن عربي _اصطلاح الصوفية_، عن نسخة 997هـ_1586م، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان، د.ت.
11. نجيب العقريقي، المستشرقون، ط3، دار المعارف، مصر، 1964م، ج1.
12. [http// www. Ibnaarabisociety.org](http://www.Ibnaarabisociety.org)